مقصدية الخطاب الإشهاريِّ السياسيّة في مقامات بديع الزَّمان الهمذانيِّ

حنان ريسان كاظم حسن

أ.د نضال إبراهيم ياسين

جامعة البصرة، كلية التربية للعلوم الانسانية، قسم اللغة العربية

المستخلص:

رصد البحث مقصدية الخطاب الإشهاريّ السياسية في مقامات بديع الزمان الهمذانيّ، فقد استطاع الهمذانيّ توظيف الخطاب الإشهاري في مقاماته بوصفه وسيلة لنقل رسائل اجتماعية وثقافية قدَّم من خلالها نقدا ساخرا للظواهر الاجتماعية والسياسية السائدة في عصره، فقد أشهر من خلالها عن رؤاه وأفكاره ووجهات نظره فيها ليثبت أن الغاية من إنتاج المقامات لم يكن مقتصراً على التسلية وتعليم الناشئة كما هو متعارف عليه عن سبب إنتاج هذا الجنس الأدبي الفريد من نوعه ، وإنما تجاوز ذلك إلى محاولة التأثير العميق في الفكر والمجتمع.

الكلمات المفتاحية: مقامات بديع الزمان الهمذانيّ، الخطاب الإشهاريّ، المقصدية ، السياسية.

The Intentionality of the Political Discourse of Proclamation in the Maqamat of Badi' al-Zaman al-Hamadhani

Hanan Risan Kadhem Hassan

Prof. Nidhal Ibrahim Yaseen, Ph.D.

University of Basrah/ College of education for Human Sciences, Dept. of Arabic Language

Abstract

The research examines the intentionality of the political discourse of proclamation in the **Maqamat** of Badi' al-Zaman al-Hamadhani. Al-Hamadhani successfully employed proclamation discourse in his Maqamat as a means to convey social and cultural messages, through which he offered satirical criticism of the prevalent social and political phenomena of his time. He used this genre to publicize his views, thoughts, and perspectives, demonstrating that the purpose of creating the Maqamat was not limited to entertainment and educating the youth, as commonly understood about this unique literary genre. Rather, it extended to an attempt to deeply influence thought and society.

Key words: Maqamat, Badi' al-Zaman al-Hamadhani, proclamation discourse, intentionality, political.

المقدمة :

إن العملية التخاطبية هي عملية تواصلية يمثل القصد لُبها وجوهر سيرورتها وعماد معناها ذلك أنّ الخطاب في أحد مفاهيمه يعني بـ((أنّه ذلك الملفوظ الموجه إلى الغير ، بإفهامه قصداً معيناً))[١]، وتقوم هذه العملية على عدة عناصر يأتي في مقدمتها طرفا العملية التخاطبية :المتكلم / المرسل ، والسامع / المتلقي أو المرسل إليه ، والخطاب أو الرسالة، ويكون هدف المتكلم إفهام المرسل إليه مقصده من الخطاب الموجه إليه ، وتكون اللغة بكافة مستوياتها النحوية والصوتية والدلالية وسيلته لتأدية هذا الهدف، فضلا عن بعض الوسائل السيميولوجية اللغوية أو غير اللغوية مثل العلامات أو الإشارات أو الرموز أو إيماءات الوجه وحركات الجسد، ، وعلى الجانب الآخر يظهر دور السامع أو المتلقي في الكشف عن مقاصد الخطاب من خلال تأويل معاني النص بالرجوع إلى خلفياته الثقافية والفكرية، فالقصد في الخطاب يكون قصداً مزدوجاً ناتجاً من قصد المتكلم وقصد المتلقي في تأويل الملفوظات في الخطاب، والكشف عن غاياته. فضلاً عن ارتباط العملية التخاطبية بعنصري السياق و المقام، لأن محاولة تحليل الخطاب والكشف عن مقصديته تستدعي ضرورة النظر في السياق الذي وردت فيه والظروف والملابسات التي أحاطت به ، فهي تختلف باختلاف المقومات السياقية والمحددات المقامية، كالأشخاص والمقام والزمان والمكان وغيرها، كما يرى الدكتور طه عبد الرحمن ذلك في قوله:((اعلم أن دلالة العبارة هي استلزام القول للمعنى المقصود من سياقه))[٢] .

إذن فالقصدية أحد المعايير المهمة في الخطاب إذ لا يمكن فهم كلام المرسل أو المتكلم مالم يستند في خطابه على مقصدية معينة لأنَّ((توفر القصد والمواضعة شرط ضروري لبلوغ الكلام تمامه))[٣] .

مفهوم القصد والمقصدية:

لقد أولى علماء اللغة العربية القدامى اهتماماً خاصاً بالقصد وعدوا توافره ضروريا في الخطاب ، فقد قرن الجاحظ(ت٢٥٥هـ) الخطاب بقصدية الإفهام ، فيقول:((مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع، إنما هو الفهم والإفهام، فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضع))[٤] ، فقد جعل فهم السامع لمقصدية المتكلم مبدءاً أساسياً في نجاح العملية التواصلية بينهما.

وعدّ ابن حزم الأندلسي(ت٤٥٦هـ)القصد علامة مطلقة للكلام تتحقق من خلاله السلسة التواصلية بين المتخاطبين((وأما الصوت الذي يتخاطب الناس به فيما بينهم ويتراسلون بالخطوط المعبرة عنه في كتبهم لإيصال ما استقر في نفوسهم من عند بعضهم إلى بعض))[٥] .

بينما يعده عبد القاهر الجرجاني(ت٤٧١هـ) من الأمور البديهية الواجب توفرها في الكلام، فيقول:((وكان مما يعلم ببدائه المعقول أن الناس إنما يكلم بعضهم بعضاً ليعرف السامع غرض المتكلم ومقصوده))[٦].

أمّا الآمدي(ت٦٣١هـ) فقد ذهب مذهب الجاحظ باقتران الخطاب بقصدية الإفهام عندما عرّف الخطاب ، إذ يقول:((أنّه اللفظ المتواضع عليه المقصود به إفهام من هو متهيء لفهمه))[٧] ، يتضح مما سبق أنَّ علماء اللغة العربية القدامى أولوا مفهوم القصد والقصدية أهمية كبرى في دراساتهم البلاغية والنقدية ، وعدّوهما جزءاً من فن الكتابة ، وركيزة أساسية لفهم الأفعال، إذ رأوا أنَّ العمل الأدبي لا يكتمل إلَّا إذا ارتبط بالمقصدية أو القصد الواعي لتحقيق هدف أو غاية معينة.

وفي العصر الحديث عده علماء اللغة العرب المحدثون من المعايير المهمة الواجب توافرها في أي نص لأنه((لا يتمظهر في شاكلة واحدة ، وإنما في كيفيات مختلفة ، وراءها مقصدية المخاطب ،والظروف التي يروج فيها النص وجنس النص ،وهذه الماورائيات نفسها تؤدي إلى اختلاف استراتيجيات التأويل من عصر إلى عصر ، ومن مجموعة إلى مجموعة ، ومن شخص إلى شخص، بل أن الممارسة التأويلية الشخصية دينامية))[٨]، فوجود القصدية شرط من شروط نجاح العملية التواصلية وتحققها إذ((لا وجود لأي تواصل عن طريق العلامات دون وجود قصدية وراء فعل التواصل ، ودون وجود إبداع أو على الأقل دون وجود توليف بين العلامات))[٩].

وقد عرف الدكتور محمد عفيفي القصد بقوله :((القصد ويعني التعبير عن هدف النص أو تضمن موقف منشئ النص واعتقاده أن مجموعة الصور والأحداث اللغوية التي قصد بها أن تكون نصا يتمتع بالسبك والالتحام، وأن مثل هذا النص وسيلة من وسائل متابعة خطة معينة للوصول إلى غاية بعينها تلك الغاية مقصد المنشئ))[١٠]، فالقصد عند الدكتور محمد عفيفي يمثل خارطة طريق يتبعها منتج النص ومبدعه في سبيل تحقيق غايته وهذه الغاية هي مقصدية منتج النص.

إنَّ القصد يعني المعنى أو الغاية أو الغرض أو الهدف الذي يسعى منتج الخطاب إيصاله إلى المتلقي بعدّة وسائل لغوية أو غير لغوية ، وقد يكون ظاهرياً صريحاً، أو باطنياً تلميحياً يفهم عن طريق تأويل الخطاب وتفكيك شفراته وفهم رموزه من كنايات واستعارات وأساليب طلب واستفهام وغيرها ، وتُعد القصدية من العلامات التعبيرية الأساسية التي يوظفها المُشْهِر لنجاح خطابه الإشهاري، إذ((تتسم الإشهارات بالقصدية في كلِّ عناصرها، فالعنصر البشري المتمثل في مصمم الإشهار قصد كل عنصر في إشهاره ثم قصد ترتيبها على هيئة محددة. وتحققُ القصدية دافع رئيس لدراسة الإشهار وعناصره...))[١١]، ولما كان القصد من الإشهار بث رسالة مخصصة يُعلن من خلالها عن بيع منتج ما لحث الجمهور على اقتناء هذا المنتج واستعماله ، لتتحقق من

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية – كانون الأول لسنة ٢٠٢٤ – المجلد ٤٩ – العدد ٤

خلاله الغاية النهائية للفعل الإشهاري وهي فعل الشراء بواسطة خلق جملة من المبررات والحوافز النفسية التي تدفع بالمستهلك إلى اقتناء هذا المنتج ، لذلك فقد اختلفت سبل التوصل لذلك الأمر باختلاف التصورات المتعلقة بالإشهار، فقد رأى البعض أن الإشهار وصف مباشر للمنتج ووظائفه وإيجابياته، بينما يرى البعض الآخر فيه تلميحاً وتضمينا واستعارات لا تنتهي ، مما دفع المهتمين بالنشاط الإشهاري إلى التمييز بين نوعين مختلفين من الإشهار أحدهما إشهار مرجعي مباشر ، وآخر جمالي غير مباشر[١٢] ، وهنا تتحقق نقطة الالتقاء ما بين مقصدية الخطاب والإشهار فكلامها يتكون من نوعين مختلفين ،أحدهما ظاهري صريح و مباشر والآخر تلميحي إيحائي غير مباشر.

إنَّ الخطاب الإشهاري لا يقتصر على التسويق والترويج لمنتجات تجارية معينة فحسب، بل يتضمن أحياناً تسويقاً وترويجاً لفكر اجتماعي أو سياسي، أو ديني أو ثقافي، فهو يتضمن تسويقاً لرغبات معلنة أو ضمنية ، وأنماط اجتماعية وآيديولوجيات ثقافية مختلفة، ولكي يحقق منتج الخطاب الإشهاري غايته الإشهارية، ومقاصده الجمالية والفنية والاقتصادية النفعية وجب عليه أن يكون عارفاً بالخصائص النفسية لجمهور المتلقين الموجه إليهم الخطاب الإشهاري عالماً بالملامح الاجتماعية العامة له، ومراعياً لمنطلقاته الفكرية والدينية والفلسفية التي يتأسس عليها بناء معالم ثقافته ،وهويته ،وانتمائه العرقي مما يساعد على تحقق التفاعل الإيجابي الاستهلاكي مع السلع المعروضة بشكلٍ عام [١٣].

وسنقوم في هذا البحث بتحليل مقصدية الخطاب الإشهاريّ السياسيّة في مقامات بديع الزمان الهمذاني ، لنتوصل إلى المقاصد التي رام المتكلم إيصالها إلى المُخَاطَب وفق استراتيجيات مباشرة وتلميحية.

مقصديّة الخطاب الإشهاريّ السياسيّة في مقامات بديع الزّمان الهمذانيّ

يُعدُّ الأدب وسيلة للتعبير عن العواطف والأفكار والمواقف بأرقى صورها، ويتميز بالشمولية واللامحدودية، فتتنوع وظائفه تبعا لذلك ، فقد يكون مرآة تعكس مشاعر منتج الخطاب وعواطفه وأفكاره، أو ينقل أحداث تاريخية مرتبطة بأدب ما، أو يعمل على إنتاج خطاب أدبي ملتزم يتحدث عن قضايا إنسانية معينة. إنَّ الأدب والسياسة عالمان إنسانيان، وهما ظاهرتان اجتماعيتان متماستان في مختلف الجوانب، فهما الأقرب لبعضهما من النشاطات الإنسانية الأخرى، ومن ناحية أنَّ الأدب ظاهرة اجتماعية لذلك يعدُّ الأقرب إلى السياسة من النشاطات الأخرى، إلى الحد الذي يسمح للأدب ممارسة السياسة، فيصبح الأديب سياسياً ولكن بأسلوبه الخاص وأدواته الخاصة يعينه في ذلك عناصر أخرى متعلقة بالواقع الاقتصادي والاجتماعي والسياسي والثقافي للأديب، فهناك تعاون مثمر بين الأدب والسياسة، إذ يستلهم منتج الخطاب الأدبي نتاجاته الأدبية من وحي الأوضاع السياسية، فغالباً كانت

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ٤ – المجلد ٤٩ – كانون الأول لسنة ٢٠٢٤

السياسة حاضرة في النتاجات الأدبية بأجناسها المختلفة الشعرية منها والنثرية، لأنَّ الأدب نوع من الخطاب ينازع خطاب السلطة، إذن فالأدب يمتلك سلطة أيضاً وهذه السلطة متأتية من سلطة منتج الخطاب الأدبي المثقف ، فيكون له موقف من السلطة السياسية بمحاولة ممارسة دوره في المجتمع الذي ينتمي إليه، لكن سلطة الأدب تكون رمزية يمارسها منتج الخطاب الأدبي عبر الكلام والكتابة، فتمارس تأثيرها في العقول والنفوس من خلال الخطاب الأدبي، إذن الأدب يمارس وظيفة التأثير والتأثّر في السياسة، فالأدب يتأثر بالسياسة باستلهام نتاجاته الأدبية من وحي الأوضاع السياسية السائدة، أمّا تأثير الأدب فيتجلى من خلال توجيه انتباه متلقي الخطاب الأدبي لانتقاد الأوضاع السلبية وإحداث التغييرات الجذرية ، إذ إنَه يمثّل بنية أساسية في تشكيل آيديولوجيات الشعوب وسلوك الأفراد ، ويحمل الإشهار في أعماقه الكثير من الدلالات منها طبيعته السياسية ،إذ إنَّ((الإشهار هو من طبيعة سياسية، لا في فعله التجاري، بل في رموزه وأفكاره التي يعمل على إشاعتها، ولا يمكن أن يتعامل مع جمهوره باعتباره مستهلكاً، أي زبوناً ، بل عليه أن يتوجه إليه باعتباره مجموعة مواطنين))[١٤].

إنَّ منتج الخطاب الإشهاري يلجأ أحياناً إلى التلميح أو الرمز أو الإيحاء–الإشهار غير المباشر– في مواجهة السلطة السياسية، فيتبع أسلوب النقد اللاذع أو النصح المبطن للتأثير عليها، وهذا الأسلوب اتخذه الهمذاني في بعض مقاماته، ومنها **المقامة الساسانية** ، فمن خلال تتبع الاستراتيجية التي تشكّلت فيها هذه المقامة وعبر توجيهها بخيوط تأويلية نلاحظ أنّها تسهم بشكل فعّال في تشكيل مقصدية الخطاب الإشهاري فيها، حيث نجد أنَّ الهمذاني يروج لأفكاره وآرائه السياسية من خلالها ابتداءً من العتبة الأولى للخطاب وهي العنوان، إذ يكتسب العنوان أهمية في الخطابات الأدبية((من حيث هو علامة للتواصل في ظل انهيار الاتصال الشفاهي، ونهوض الاتصال الكتابي، ويكون بمنزلة استعلامات، يقود المتلقي إلى تضاريس النص))[١٥] ، فالعنوان ما هو إلاّ إشهار وترويج لقضايا اجتماعية أو سياسية تروج للتمرّد والرفض والنقد لواقع اجتماعي أو سياسي يتصف بالفساد أو الظلم أو الفقر وانعدام المساواة بين الطبقات الاجتماعية المختلفة، وتكمن وظيفته في إغواء المتلقي لينتقل إلى الوظيفة الإحالية(المرجعية) عن طريق التلميح إلى ثيمة النص الأساسية ودلالاته [١٦] ، فالعلامة اللسانية(الساسانية) تنفتح على تأويل يشير إلى مقصدية سياسية قصدها الهمذاني من خلال إشهاره لهذه التسمية(الساسانية) التي تحيل إلى معاني الاستصغار والوضاعة والمهانة، ففيها إشارة إلى الدولة الساسانية في بلاد فارس التي زال ملكها بعد مجيء الإسلام وقيام الدولة العربية الإسلامية، فلم يبقَ من أفرادها إلاّ القليل عاشوا أذلاء منبوذين بعد هلاكهم على إيدي المسلمين، وهذه التسمية كانت تطلق على طبقة (المكدين)أدنى طبقات المجتمع في عصر بديع الزمان الهمذاني، في مقصدية منه تشير إلى التهميش والاقصاء الذي تعيشه هذه الطبقة من المجتمع في ظل السلطة السياسية في العصر العباسي في القرن الرابع الهجري.

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية – العدد ٤ – المجلد ٤٩ – كانون الأول لسنة ٢٠٢٤

أمّا المقطع الاستهلالي في هذه المقامة فيتلخص بما شاهده الراوي عيسى بن هشام في أحد أسفاره إلى دمشق من قيام جماعة من بني ساسان وهم طبقة(المكدين) في المجتمع آنذاك باتخاذهم مظهراً معينا يدل على اختلافهم عن الآخرين، وذلك بلف رؤوسهم وتلويث ثيابهم بالطين الأحمر وتأبطهم للحجارة يتقدمهم زعيم لهم يردد ألفاظاً معينة على نغم واحد وهم يرددونها من بعده على ذات النغم [١٧]:((**حَدَّثَنَا عِيسَى بنُ هِشَامٍ قَالَ: أَحَلَّتْنِي دِمَشْقُ بَعْضُ أَسْفَارِي. فَبَيْنَا أَنَا يَوْماً عَلَى بَابِ دَارِي. إِذ طَلَعَ عَلَيَّ مِن بَنِي سَاسَانَ كَتِيبَةٌ قَدْ لَفُّوا رُؤُوسَهُمْ. وَطَلَوا بِالْمَغْرَةِ لَبُوسَهُمْ . وَتَأَبَّطَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ حَجَرَاً يَدُقُ بِهِ صَدْرَهُ. وَفِيهِمْ زَعِيمٌ لَهُمْ يَقُولُ وَهُمْ يُرَاسِلُونَهُ. وَيَدْعو وَيُجَاوِبُونَهُ...**))[١٨]، لقد بث الهمذاني في هذا المشهد خطاباً إشهارياً تمليحياً ذا مقصدية سياسية، إذ نجده أشبه بمظاهرة احتجاجية تنقل تعبير جمهور أو جماعة المكدين عن وجهة نظرهم ومطالبهم من أجل إيصالها إلى السلطة السياسية لتحسين ظروفهم المعيشية وانتشالهم مما هم فيه من فقر وعوز، فالخطاب الإشهاري((خطاب ذو سيادة يرتبط بالسلطة والمال من أجل استمالة المتلقي، وإقناعه بالخدمة أو السلعة المعلن عنها))[١٩]، وتأتي الأبيات الشعرية الموجهة إلى عيسى بن هشام على لسان زعيمهم لتمثل مطالبهم المشروعة في عيش حياة حرة كريمة غير منقوصة ، وربما تكون كتيبة المكدين رمزاً للشعب في عصر الهمذاني الذي ظل يعاني من الجوع والحرمان من أبسط أسباب الحياة نتيجة لتخبط السلطات السياسية الحاكمة في العصر العباسي الثاني، ويكون الراوي عيسى بن هشام بحسب موقعه الوسيط الناقل لتلك المطالب، ((**فَلَمَّا رَآنِي قَالَ:**

أُرِيدُ مِنْكَ رَغِيفَا يَعْلُو خُوَاناً نَظِيفَا

أُرِيدُ مِلْحاً جَرِيشاً أُرِيدُ بَقْلاً قَطِيفَا

أُرِيدُ لَحْماً غَرِيضاً أُرِيدُ خَلاً ثَقِيفَا

أُرِيدُ جَدْياً رَضِيعاً أُرِيدُ سَخْلاً خَرُوفَا

أُرِيدُ مَاءً بِثَلْجٍ يَغْشَى إِنَاءً طَرِيفَا

أُرِيدُ دَنَّ مُدَامٍ أَقُومُ عَنْهُ نَزِيفَا

وَسَاقِياً مُسْتَهَشَّاً عَلَى القُلُوبِ خَفِيفَا

أُرِيدُ مِنْكَ قَمِيصاً وَجُبَّةً وَنَصِيفَا

أُرِيدُ نَعْلاً كَثِيفاً بِهَا أَزُورُ الكَنِيفَا

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ٤ – المجلد ٤٩ – كانون الأول لسنة ٢٠٢٤

أُرِيدُ مِشْطاً وَمُوسَى أرِيدُ سَطْلاً وَلِيفَا

يَا حَبَّذَا أنَا ضَيْفاً لَكُمْ وأنتَ مَضِيفَا

رَضِيتُ مِنْكَ بِهذَا وَلَمْ أُرِدْ أن أَحِيفَا))[٢٠]

تعدُّ الموسيقا من الآليات الإشهارية التي وظّفها الهمذاني في خطابه الإشهاري الشعري الذي تضمنته المقامة الساسانية للتأثير في المتلقي وتمرير مقاصده السياسية((بحيث تمثل الموسيقى عامل التأثير بجانب عوامل الإقناع، وهذا إن كان متحققاً في الإشهار المرئي الحركي، فإنَّ الإشهار اللفظي ليس بعيدا عنه، لا سيما الإشهار الشعري، فالشعر خطاب إيقاعي قائم على الموسيقى، بحيث إنَّ دور الإيقاع والموسيقى في الشعر لا يقل أثره عنه في الإشهار المرئي))[٢١] ، ويتأتى الدور المهم للموسيقا بنوعيها (الداخلية والخارجية) في الخطاب الإشهاري الشعري من حيث أنّها تضطلع بدور مهم في تسهيل مهمة الشاعر على الإقناع وحمل المتلقي على الإذعان[٢٢] فالموسيقى الخارجية في هذه الأبيات موزونة بوزن مجزوء بحر(المجتث)الذي ينبني شطره الشعري بتفعيلات(متفعلن ، فاعلاتن) وسماه الخليل بن أحمد الفراهيدي (بالمجتث) لأنه أجتث، أي قُطِعَ من طويل دائرته، وهذه التسمية العروضية تتفق من معناه اللغوي وهو قطع الشيء من أصله ، وانتزاع الشجر من أصوله [٢٣] ، فجاء المعنى العروضي واللغوي موائماً لحالة الإقصاء، والتهميش، والحرمان التي تعيشها هذه الطبقة من المجتمع، والملاحظ أنّ التفعيلة الأولى من كلَ بيت جاءت مخبونة(متفعلن) وذلك بحذف الحرف الثاني المتحرك ،فضلاً عن ورود تفعيلة(فعلاتن) المخبونة أيضاً في بعض الأبيات الشعرية، ولما كان الخبن في اللغة يعني تقليص الثوب بالخياطة وتقصيره [٢٤] ، فناسبت التفعيلات المخبونة حالة النقص والحرمان ،فهي تحكي حالة الحرمان والفقر الذي يلازمه الشعور بالنقص والقصور، فالأبيات هنا هي جزء من وعي الهمذاني بقضايا عصره، هذا الوعي الذي يسيطر عليه شعور الاستلاب والانكماش انعكس على إيقاع القصيدة فجاءت محملة موسيقياً ودلالياً بكل ما يشعر المتلقي بالقصور والنقص والفقد الذي تمثل بزحاف الخبن في هذه الأبيات، أمّا القافية فقد بُنيت على قافية الفاء المطلقة، فجاءت مناسبة للتعبير عمّا يتردد في نفسه من معانٍ وحاجات لتسهيل مهمته في التأثير في المتلقي وإقناعه ، أمّا على مستوى الإيقاع الداخلي فيتمثل بالتكرار الذي يُعدُّ من الآليات الإقناعية اللغوية ، فهو((آلية وأسلوب واستراتيجية من استراتيجيات الإقناع والتأثير إذ يتم من خلالها تكرار الكلمات أو المفردات . من جهة . والإتيان بمفرداتها من جهة أخرى بقصد تفعيل آليات التلقي، وهنا، يستحضر التكرار في الخطاب الإشهاري رافداً مهماً وأساسياً من روافد الإقناع والإبلاغ إذ يبرز هذا

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية – العدد ٤ – المجلد ٤٩ – كانون الأول لسنة ٢٠٢٤

الأسلوب قيمة وأهمية الحدث الإشهاري، ويرسخ معناه لدى المتلقي ،ويصبح مع السيرورة التواصلية الإشهارية محوراً للتفكير فالسلوك والتصور))[٢٥] ، والتكرار هنا تفصيلي (ملفوظ)المراد به تكرار لفظة واحدة، وهذا النوع من التكرار يطلق عليه الدكتور عبدالله الطيب تسمية التكرار الخطابي((لأنَّ الشعراء أكثر ما ينحون فيه منحى الخطابة، وهو نوعان ملفوظ ،وملحوظ، فالملفوظ ما ألحّ فيه الشاعر على استعمال كلمة بعينها ،أو كلمة مقاربة لها في الاشتقاق...))[٢٦] ، فقد تكررت لفظة (أُريدُ) ثلاث عشرة مرة، فالتكرار هنا اكتسب سمة إشهارية تؤكد معنى الحرمان والحاجة وتثبتهما، واحسبُ أنَّ الإشهار هنا يمكن أن يندرج تحت ما يصطلح عليه بالإشهار المُلِح، حيث((يُعدُّ التكرار منهجاً متبعاً في الإشهار لبعض الأعمال، ولذا ينطبق عليه مصطلح(الإشهار الملح)، الذي يعمد إليه المشهر إلى الإلحاح على تكرار المادة المشهرة في اكثر من موضع))[٢٧] ، إنَّ إلحاح الهمذاني في تكرار اللفظ (أُريدُ) على لسان زعيم كتيبة بني ساسان جاء للتعبير عن الحالة الشعورية المحملة بالحرمان، والفقد ،النقص ،وفي الوقت ذاته تعمل على جذب انتباه المتلقي والتأثير فيه((وهذا التأثير يتحقق بمدى قبول المتلقي واستجابته للفكرة التي تلحُ عليها العبارة المكررة))[٢٨] ، ويختتم الهمذاني خطابه الإشهاري بأبيات شعرية انتقد فيها عصره، الذي طغى عليه الشؤم، والمكر ،والحيلة ،وغياب العقل، ((**فأنشأ يقول:**

هذَا الزَّمَانُ مَشُومُ كَمَا تَرَاهُ غَشُومُ

الحُمْقُ فِيهِ مَلِيحٌ وَالْعَقْلُ عَيْبٌ وَلُومُ

وَالْمَالُ طَيْفٌ وَلَكِنْ حَوْلَ اللَّئَامِ يَحُومُ)) [٢٩]

والذي يبدو أنَّ الهمذاني قصد فيها انتقاده للسلطة السياسية في زمنه بعدم قدرتها على إدارة أمور البلاد وشؤونها وانعدام العدل والمساواة بين أفراد المجتمع، فتجد طبقة تتكدس في يديها الثروات(حول اللئام يحوم) وأخرى تفتقد لأبسط أسباب الحياة.

وأحياناً تقوم العلاقة بين منتج الخطاب الأدبي – شعراً أو نثراً – والسلطة السياسية على صفة نفعية متبادلة، فمنتج الخطاب الأدبي يتزلفُ إلى أصحاب السلطة السياسية من أجل الحصول على الكسب المادي والمنفعة الشخصية، وفي المقابل تقوم السلطة السياسية بتوظيف منتج الخطاب الأدبي من أجل الترويج لأفكارها السياسية والمساهمة في تثبيت أركانها، ويُعدُّ المدح من أكثر الأغراض استعمالاً لهذه المقصدية السياسية، لأنَّه يرتبط بالبلاطات والأعيان وبالسلطة السياسية بشكل عام ، وذلك لأنَّ((خطاب المديح يسعى من خلال وظيفتي التعامل والتفاعل إلى التعبير عن مقاصد معينة وتحقيق أهداف محددة، إذ تبرز في هذا الخطاب مقاصد كثيرة قد تظهر مباشرة من شكل الخطاب وقد لا تظهر، وعند ذاك تصبح لغة الخطاب شكلاً دالاً يقود إلى مدلولات ثاوية

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية – العدد ٤ – المجلد ٤٩ – كانون الأول لسنة ٢٠٢٤

خلفه من خلال المعطيات السياقية والعلاقات التخاطبية والافتراضات المسبقة التي يدركها المرسل أو يفترض وجودها فيبني لغة خطابه عليها، كما يدركها المرسل إليه ليستدل على المقاصد من خلالها))[٣٠]، وكان الهمذاني من أدباء القرن الرابع الهجري الّذين استثمروا المدح في النثر لهذا الغرض ،فقد خصص ستاً من مقاماته في مدح خلف بن أحمد أمير سجستان فهو((يصور لنا البطولة المقرونة بالدهاء، ثم لا ينسى المدح الذي يستخدم له بطله أبا الفتح، فيفتح الله عليه أبواب الرزق، ويغرقه طوفان(خلف بن أحمد)... فالمقامات: الناجمية، والنيسابوية، والخلفية، والملوكية، والتميمية، والسارية،، كل هذه جميعها في مدح(خلف) الذي خلف على الهمذاني وأغناه...))[٣١]، فيقول الهمذاني في مدحه على لسان أبي الفتح الاسكندريّ وذلك في **المقامة الملوكية**((**... قَالَ عيسَى بنُ هِشَامٍ :فَقُلْتُ: مَنْ هذَا المِلِكُ الرَّحِيمُ الكَرِيمُ؟ فَقَالَ: كَيْفَ يَكُونُ، مَالَمْ تَبْلُغْهُ الظُّنُونُ؟ وَكَيْفَ أَقُولُ، مَالَمْ تَقْبَلْهُ العُقُولُ؟ وَمَتَى كَانَ مَلِكٌ يَأْنَفُ الأَكَارِمَ، إِنْ بَعَثْتَ بِالدَّرَاهِمِ، وَالذَّهَبُ، أَيْسَرُ مَا يَهِبُ. وَالأَلْفُ، لَا يَعُمُّهُ إِلَّا الخَلْفُ. وَهَذا جَبَلُ الكُحْلِ قَدْ أَضَرَّ بِهِ المِيلُ. فَكَيفَ لَا يُؤَثِّرُ ذَلِكَ العَطَاءُ الجَزِيلُ؟ وَهَلْ يَجُوز أَنْ يَكُونَ مَلِكٌ يَرْجِعُ مِنَ البَذْلِ إِلَى سَرَفِهِ. وَمِنَ الخَلْقِ إِلَى شَرَفِهِ .وَمِنَ الدِّينِ إِلَى كَلَفِهِ. وَمِنَ المُلْكِ إِلَى كَنَفِهِ. وَمِنَ الأَصْلِ إِلَى سَلَفِهِ. وَمِنَ النَّسْلِ إِلَى خَلَفِهِ.**

فَلَيْتَ شِعْرِي مَنْ هَذِي مَآثِرُهُ مَاذَا الَّذِي بِبِلُوغِ النَّجْمِ يَنْتَظِرُ))[٣٢]

فهو ملك الملوك الذي اكتسب العراقة والحسب من نسب آبائه ،فكان السخاء وسعة العطاء من أظهر سماته، وتُعدُّ((القصيدة المادحة (عقد أدبي) ضمني أو فعلي بين المرسل والمتلقي))[٣٣] إذ يقول الهمذاني في أبيات شعرية مدح بها خلف بن أحمد على لسان الشيخ الناجم في **المقامة الناجمية:((وانْشَأَ يَقُولُ:**

مَوْلَايَ أَيُّ رَذِيلَةٍ لَمْ يَأْبَهَا خَلَفٌ وَأَيُّ فَضِيلَةٍ لَمْ يَأْتِهَا

مَا يُسْمِعُ العَافِينَ إِلَّا هَاكَهَا لَفْظاً وَلَيْسَ يُجَابُ إِلَّا هَاتِهَا

إِنَّ المَكَارِمَ أَسْفَرَتْ عَنْ أَوْجُهٍ بِيضٍ وَكَانَ الخَالُ فِي وَجَنَاتِهَا

بِأَبِي شَمَائِلَهُ الَّتِي تَجْلُو العُلَا وَيَداً تَرَى البَرَكَاتِ فِي حَرَكَاتِهَا

مَنْ عَدَّهَا حَسَنَاتِ دَهْرٍ إِنَّنِي مِمَّنْ يَعُدُّ الدَّهْرَ مِنْ حَسَنَاتِهَا

قَالَ عِيسَى بنُ هِشَامٍ: فَسَأَلْنَا اللهَ بَقَاءَهُ، وَأَنْ يَرْزُقْنَا لِقَاءَهُ. وَأَقَامَ النَّاجِمُ أَيَّامَاً مُقْتَصِراً مِنْ لِسَانِهِ، عَلَى شُكْرِ إِحْسَانِهِ، وَلَا يَتَصَرَّفُ مِنْ كَلَامِهِ إِلَّا فِي مَدْحِ أَيَّامِهِ، وَالتَّحَدُّثِ بِإِنْعَامِهِ.))[٣٤]

، فالهمذاني يصف ممدوحه خلف بن أحمد بالسماحة والمكارم والشمائل التي يعجز الدهر أن يعد هذه الصفات ، إنَّ غرض المدح وثيق الصلة بالأخلاق بسبب ما يُعبِّر عنه من قيم ومُثل أخلاقية، فالملاحظ في مثل هذا الخطاب الإشهاري تركيز منتج الخطاب على بيان فضائل الممدوح وما يتحلى به من أخلاق ومزايا يأتي الكرم في مقدمتها، فضلاً عن اهتمامه بالجانب الفني لارتباطه بالتأثير، ومن ثم بتحقيق الغرض والوصول للهدف.

الخاتمة

يتضح مما تقدّم أنَّ مقامات الهمذاني تضمنت خطاباً إشهارياً كان ذا مقاصد سياسيَّة، متخذاً من تلك المقامات أداة لنقد مجتمعه بأبعاده الاجتماعية والسياسية، مسلطاً الضوء على القضايا الإنسانية التي شهدها عصره السلبية منها كالفقر ،والتشرّد ، والظلم ، والتمايز الطبقي ،وطبيعة العلاقة بين الحكّام مع طبقة الفقراء والمعدمين، وانعكاس تردي الأوضاع السياسية واضطرابها على الوضع الاجتماعي في العصر العباسي في القرن الرابع الهجري .

هوامش البحث:

[1]- استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري: ص٣٧

[2]- اللسان والميزان أوالتكوثر العقلي، د. طه عبد الرحمن: ص١٠٣

[3]- التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدكتور عبد السلام المسدي: ص١٥٢

[4]- البيان والتبيين، تأليف أبي عمرو بن بحر الجاحظ : ج١/ص٧٦

[5]-التقريب لحد المنطق والمدخل إليه بالألفاظ العامية والأمثلة الفقهية، تأليف الإمام أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد ابن حزم الأندلسي المتوفى(٤٠٦هـ): ص١٨

[6]- دلائل الإعجاز ، تأليف الشيخ الإمام أبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني النحوي المتوفى(٤٧١أو٤٧٤ هـ): ص٥٣٠

[7]- الأحكام في أصول الإحكام ، تأليف الإمام العلامة علي بن محمد الآمدي: ج١/ص١٣٢

[8]- مجهول البيان ، محمد مفتاح : ص٨٩

[9]- استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري : ص١٨٣

[10]- نحو نص جديد اتجاه جديد في الدرس النحوي ، الدكتور محمد عفيفي: ص٧٩

[11]- بلاغة الإشهار في الصورة الثابتة بيت التمويل الكويتي أنموذجاً، مشاري عبد العزيز محمد الموسى(بحث): ص٢٧٠

[12]- ينظر: اللغة العربية والخطاب الإشهاري بين النظرية والتطبيق –دراسة سيميائية –، بلقاسم دفة،(بحث): ص٥٠، وينظر: سيميائيات الصورة الإشهارية الإشهار والتمثلات الثقافية، سعيد بنكراد : ص٦٠

[13]- ينظر: أثر الأفعال الكلامية في الخطاب الإشهاري . الإشهار الثابت المعروض في الجزائر أنموذجاً . معلم فريدة، عمياز العياشي(بحث): ص١٦

[14]- الإشهار والمجتمع، برنار كاتولا، ترجمة سعيد بنكراد: ص٢٥٧

[15]- في نظرية العنوان مغامرة تأويلية في شؤون العتبة النصية، د. خالد حسين حسين: ص٤٢٠

[16]- المصدر نفسه: ص٤٢٠

[17]- ينظر: مقامات بديع الزمان الهمذاني، لأبي الفضل أحمد بن الحسين بن يحيى المتوفى سنة(٣٩٨هـ): الهامش ص١٠٨-١٠٩

[18]- مقامات بديع الزمان الهمذاني ،لأبي الفضل أحمد بن الحسين بن يحيى المتوفى سنة(٣٩٨هـ): ص ١٠٨-١٠٩

[19]- الخطاب الإشهاري من بلاغة الكلمة إلى بلاغة التكنولوجيا، أ.د هادي نهر(بحث): ص١٢٧

[20]-مقامات بديع الزمان الهمذاني، لأبي الفضل أحمد بن الحسين بن يحيى المتوفى سنة(٣٩٨هـ): ص ١٠٩-١١٠

[21]- الخطاب الإشهاري في معلقة عمرو بن كلثوم(بحث): ص١٦٥

[22]- ينظر: الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، د. سامية الدريدي: ص١٢٦

[23]- معجم لسان العرب، لابن منظور: مادة (جثث)

[٢٤]– ينظر: معجم لسان العرب: مادة(خبن)

[٢٥]–الاستراتيجيات البلاغية في الخطاب الإشهاري وأهميتها في توليد المعنى قراءة لعينة من الخطابات الأنساق البصرية، د. وردية راشدي(بحث): ص٨٣

[٢٦]– المرشد إلى أشعار العرب وصناعتها ،عبد الله الطيب: ج/٢ص١٣٧

[٢٧]– الخطاب الإشهاري في النص الأدبي، د. مريم الشنقيطي .: ص٦٤

[٢٨]– الإيقاع في قصيدة العمود من خلال الخطاب النقدي العربي، الدكتور علي عبد رمضان: ص٢٢٥

[٢٩]– مقامات بديع الزمان الهمذاني، لأبي الفضل أحمد بن الحسين بن يحيى المتوفى سنة(٣٩٨هـ): ص١١٢

[٣٠]– التداولية والشعر قراءة في شعر المديح في العصر العباسي، الدكتور عبد الله بيرم: ص٥٧

[٣١]– بديع الزمان الهمذاني، مارون عبود: ص٣٦

[٣٢]– مقامات بديع الزمان الهمذاني ،لأبي الفضل أحمد بن الحسين بن يحيى المتوفى سنة(٣٩٨هـ): ص٢٥٩– ٢٦٠

[٣٣]– التداولية والشعر قراءة في شعر المديح في العصر العباسي، الدكتور عبد الله بيرم: ص٥٨

[٣٤]– مقامات بديع الزمان الهمذاني ،لأبي الفضل أحمد بن الحسين بن يحيى المتوفى سنة(٣٩٨هـ): ص٢٢٢–٢٢٣

المصادر والمراجع

١. الأحكام في أصول الإحكام ، تأليف الإمام العلامة علي بن محمد الآمدي، علّق عليه: العلامة الشيخ عبد الرزاق عفيفي، دار الصميعي للنشر والتوزيع . المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م.

٢. استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت . لبنان، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٤.

٣. الإشهار والمجتمع بيرنار كاتولا، ترجمة سعيد بنكراد، دار الحوار للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ٢٠١٢م.

٤. الإيقاع في قصيدة العمود من خلال الخطاب النقدي العربي، الدكتور علي عبد رمضان، دار ومكتبة البصائر ،بيروت . لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠١٦م.

مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية العدد ٤ – المجلد ٤٩ – كانون الأول لسنة ٢٠٢٤

٥. بديع الزمان الهمذاني، تأليف :مارون عبود، مؤسسة الهنداوي للتعليم والثقافة ، (د. ط)، ٢٠١٢م.

٦. البيان والتبيين، تأليف أبي عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق وشرح عبد السّلام محمد هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة السابعة، ١٩٩٨م.

٧. التداولية والشعر قراءة في شعر المديح في العصر العباسي، الدكتور عبد الله بيرم، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ٢٠١٣-٢٠١٤م.

٨. التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدكتور عبد السلام المسدي، الدار العربية للكتاب، الطبعة الثانية ١٩٨٦م.

٩. التقريب لحد المنطق والمدخل إليه بالألفاظ العامية والأمثلة الفقهية، تأليف الإمام أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد ابن حزم الأندلسي المتوفى(٤٠٦هـ)، تحقيق أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان(د. ط)، (د. ت).

١٠. الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، د. سامية الدريدي، عالم الكتب الحديث، أربد . عمان، الطبعة الثانية، ٢٠١١م.

١١. الخطاب الإشهاري في النص الأدبي، د. مريم الشنقيطي، دار الفيصل الثقافية ،(د. ط)،١٤٤٠هـ.

١٢. دلائل الإعجاز ، تأليف الشيخ الإمام أبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني النحوي المتوفى(٤٧١أو٤٧٤ هـ)، قرأه وعلّق عليه: أبو فهر/ محمود شاكر، مطبعة المدني ، دار المدني بجده المملكة العربية السعودية، الطبعة الثالثة، ١٩٩٢م.

١٣. سيميائيات الصورة الإشهارية الإشهار والتمثلات الثقافية، سعيد بنكراد ، أفريقيا الشرق – المغرب، (د. ط)، ٢٠٠٦م.

١٤. في نظرية العنوان مغامرة تأويلية في شؤون العتبة النصية، د. خالد حسين حسين، دار التكوين،(د.ط)،(د.ت).

١٥. اللسان والميزان أوالتكوثر العقلي، د. طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، الطبعة الأوّلى ١٩٩٨م.

١٦. مجهول البيان ،محمد مفتاح، دار طوبقال للنشر، الدار البيضاء . المغرب، الطبعة الأولى١٩٩٠م.

١٧. المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها ،عبد الله الطيب،(د .ط)،(د . ت).

١٨. معجم لسان العرب، لابن منظور، طبعة جديدة محققة ومشكولة شكلاً كاملاً ومذيّلة بفهارس مفصّلة، دار المعارف،(د.ط)،(د.ت).

١٩. مقامات بديع الزمان الهمذاني ، لأبي الفضل أحمد بن الحسين بن يحيى المتوفى سنة(٣٩٨هـ)، قدّم لها وشرح غوامضها: الإمام العلامة الشيخ محمد عبده، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٥ م.

٢٠. نحو نص جديد اتجاه جديد في الدرس النحوي ، الدكتور محمد عفيفي ، مكتبة زهراء الشرق . القاهرة، الطبعة الأولى ٢٠٠١م.

البحوث والدوريات

٢١. أثر الأفعال الكلامية في الخطاب الإشهاري . الإشهار الثابت المعروض في الجزائر أنموذجاً . معلم فريدة، عمير العياشي، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، المجلد/٩، العدد/٥لسنة ٢٠٢٠م.

٢٢. الاستراتيجيات البلاغية في الخطاب الإشهاري وأهميتها في توليد المعنى قراءة لعينة من الخطابات الأنساق البصرية، د. وردية راشدي، مجلة الخطاب والتواصل ،العدد السابع، ٢٠٢٠م.

٢٣. بلاغة الإشهار في الصورة الثابتة بيت التمويل الكويتي أنموذجاً، مشاري عبد العزيز محمد الموسى، مجلة الآداب، المجلد/٢٧، العدد/٣، لسنة ٢٠١٥م.

٢٤. الخطاب الإشهاري في معلقة عمرو بن كلثوم (دراسة في آليات الإقناع) د. إيهاب سعد شفطر، مجلة بحوث كلية الآداب، المجلد ٣٤،لسنة٢٠٢٣م.

٢٥. الخطاب الإشهاري من بلاغة الكلمة إلى بلاغة التكنولوجيا، أ.د هادي نهر، أربد للبحوث، المجلد الرابع، العدد الثاني،٢٠١١م.

٢٦. اللغة العربية والخطاب الإشهاري بين النظرية والتطبيق . دراسة سيميائية، أ. د، بلقاسم دفة ، الموقف الأدبي، العدد ٥١٧، آيار ٢٠١٤م .